باب للموتى وآخر للاحياء في معهد الطب العدلي!

الاعتقاد بوجود جريمة كاملة وهم يفنده أطباء التشريح

حين توقفت السيارات الغاصّة بركابها على نحو مرتجل في وسط الشارع، انهمكت ثلة من الرجال في فك الحبال التي قيدت التابوت على ظهر السيارة الأولى، وبدأوا بانزاله بينما ثلاث نسوة رحن يتشبثن باطراف القماشة التي اسدلت عليه، مجموعة اخرى من النسوة نصبن جلسة نواح على فقيدهن الذي أدخل إلى المشرحة، رجل يتكئ على الحائط ويجهش بالبكاء، وآخرون وقفوا جانباً مطرقي الرؤوس..مشاهد محزنة ومخيفة لكنها تتكرر كل يوم مرات عدة على باب معهد الطب العدلي.

ماجد موجد

يقول الروائي اليوناني كازنتزاكي: عندما كنت في الثامنة من العمر ذهبت برفقة عمي لحضور مراسيم نقل جثة من قبر إلى آخر لسبب لا أعرفه وعندما بدأ الحفار بنبش القبر رحت اقبض بأذيال عمي خوفاً برغم اني لا اعلم ما الذي تخبئه تلك الحفرة التي غدت عميقة، وسرعان ما ظهرت ملامح جمجمة ثم الهيكل العظمي الذي ملئت أخاديده بالتراب، كنت ارتعد لذلك المنظر المخيف وبكلمات متقطعة سألت عمي: جمجمة من هذه؟ فقال: انها جمجمة مربيتك. فسألته مرة ثانية: ولماذا اصبحت هكذا؟ فقال عمي: انه الموت عندما ستكبر تعرف ما معنى الموت.. وها أنا في السبعين من العمر ولم أعرف ما معنى الموت.

وقد مات كازنتزاكي ولابد انه اكتشف ذلك العالم المجهول الذي ظل يسأل عنه طوال حياته.

وللموت أسباب جمة في الانقضاض على من يبست ورقته، ولكن كما قيل الموت واحد وان تعددت الاسباب. غير ان معهد الطب العدلي تخصص في الكشف عن اسبابه وتحديدها بطرق علمية، وثمة في هذا المجال اطباء اختصاصيون في تشريح الجثث وكشف حالة الوفاة فيما اذا كانت طبيعية أي سبب المرض او كما يسمى (بالموت الفجائي) او ان وفاة الشخص بفعل فاعل أي تعرضه للقتل، ثم التعريف بالطريقة التي استخدمت لقتله والأداة التي ارتكبت بها الجريمة، ليست هذا فقط، بل ان بعض الاحياء يخضع لفحوصات خاصة واحالات هؤلاء لا تأتي من المؤسسات الصحية وانما من مركز الشرطة وحسب مقررات القاضي.

دعونا نتعرف على هذا المبنى الأنيق من الخارج والمحشوة دهاليزه بجثث الموتى..

مظاهر الموت

المبنى يقع مقابل الباب الخلفي لوزارة الصحة، ومن السهولة على المرء اكتشاف إن هذا المكان له علاقة بالموت، حتى من دون أن يقرأ اللافتة التي وضعت على مدخل البناية، وهو مدخل رئيس مخصص لدخول الموظفين والأحياء من المراجعين. وثمة باب آخر محاذٍ له خصص لدخول الموتى، وعلى مسافة بعدية تتراءى لك مظاهر الموت: فهذا الباب في احايين كثيرة تجده محاطاً بالسيارات التي ربطت على ظهورها التوابيت، اذ لا يمكن للأموات ان يدفنوا دون ان يدخلوا هذه البناية.

معاون مدير المعهد: عملنا قائم على كشف الحقيقة وتقديمها للقضاء

وصلنا في حدود الساعة العاشرة صباحاً، وبرغم ان الوقت مبكر نوعاً ما إلا اننا فوجئنا بعدد التوابيت الموجودة أمام مدخل المعهد، ربما لأن موعد وصولنا كان قد سبقه ليل من الاشتباكات الدامية في بعض مناطق بغداد وهذا بطبيعة الحال يوفر زواراً اكثر لهذا المكان.

تملأ المكان رائحة لا تطاق تنبعث من تابوت وضع جانباً ويبدو انه يحوي على جثة قد اصابها التفسخ: مشاهد محزنة ومخيفة في الوقت نفسه، وبرغم انني كنت قد زرت هذا المكان من قبل في شأن صحفي، إلا ان عوالم الموت ما تنفك تثير الرعب.

لقاؤنا الأول كان مع الدكتور عبد الرزاق عبد الامير معاون المدير الذي تحدث لنا عن طبيعة عمل المعهد قائلاً: المعهد يعمل طبقاً للأوامر المحالة إليه مع الاحالات من الأموات والاحياء على حد سواء، وبعد اتخاذ الإجراءات اللازمة نقوم بتسليم النتائج بشكل سري إلى الجهات القضائية أيضاً، إلا في الحالات التي لا تستوجب السرية فإننا نقدم التقارير لذوي الشخص الذي خضع للفحص بطبيعة الحال تختلف الإجراءات والفحوص التي يقوم بها معهدنا على الاحياء والأموات.

فحص البكارة وفحوص أخرى

مَن من الاحياء يخضع لفحوص في معهدكم؟

لدينا مثلاً فحص البكارة، فبعض الفتيات يتعرضن لتهمة من قبل زوجها في ليلتها الأولى على انها غير باكر: مما يدعو عائلة الفتاة التي تنكر التهمة احضارها الينا واخضاعها للفحص بعد تقديم طلب إلى القضاء بهذا الشأن، وهناك الكثير من الحالات التي اوضحنا فيها عدم صدقية التهمة اما سبب اتهام الزوج لزوجته بفقدان عذريتها. فهو وجود بعض من انسجة البكارة يختلف عن الطبيعي، فهناك انسجة بكارة شفافة للغاية وتحوي على شرايين دموية دقيقة جداً، وعندما تتمزق بفعل الايلاج لا تفرز قطرة دم واحدة، وثمة بكارة تحوي انسجة قوية جداً وهي قابلة للتمدد وليس بوسع الايلاج ان يمزقها، ولكن للأسف بعض الفتيات ذهبن ضحية لجهل المجتمع بهذه الحقائق العلمية.

وهناك ايضاً فحوصات اللواط وهي لا تخص الذكور فقط بل الاناث ايضاً، وهناك فحص العقم لدى الرجل والمرأة، وفحص الحالة الاجتماعية لكبار السن ممن ترفع ضدهم دعاوى من قبل عوائلهم بحجة تخريفهم، وكذلك فحوصات اثبات البنوة . أي اثبات النسب . حسب الدعاوى المقدمة من الابناء أو الآباء، وهناك فحص تقرير العمر بالنسبة للاطفال غير المسجلين قانونياً، أو الاشخاص الذين ثبتت اعمارهم بشكل خاطئ.

وهم الجريمة الكاملة

وماذا عن الموتى؟

جميع الاحالات تأتي بأمر قضائي عن طريق الشرطة وهو مرفق باستمارة خاصة بالتشريح بالنسبة للمتوفين، ونحن نقوم بكشف اسباب الوفاة، وقد احيلت لنا جثة متفحمة لفتاة يدعي ذووها انها قامت باحراق نفسها لأنها لا تريد الزواج بأحد اقاربها، بعد التشريح تبين ان الفتاة فارقت الحياة قبل الحرق، أي ان الحرق لم يكن سبباً في موتها، بل قتلت خنقاً ثم احترقت، لأن الانسان الحي الذي يتعرض للحرق سوف يبقى يستنشق الهواء الذي تلوث بالدخان من فعل الاحتراق، وهذا الهواء المحمل بالدخان لابد ان يترك اثراً في رئتيه، وهذا ما لم نجده في رئتي الفتاة، وهو الأمر الذي ينطبق على الغرقى ، فثمة جريمة قتل قام الجناة بخنق ضحيتهم ثم قذفوه في النهر، ظناً منهم انهم سوف يوهمون القانون بأنه مات غرقاً، وقد اكتشفنا زيف ادعاء اقربائه، فالميت غرقاً سوف تبقى بعض (اشنات) الماء عالقة في رئتيه، بينما الميت قبل ان يلقى في الماء لا توجد مثل هذه (الاشنات) في رئتيه، الأمر الذي اكتشفناه اثناء تشريح جثة المتوفى.

مصاطب التشريح

تركنا الدكتور عبد الرزاق الذي اثقل بالمراجعات، وذهبنا في جولة داخل اقسام المبنى ولعل اكثر ما يثير الفضول والخوف قاعات التشريح، فثمة مصاطب صنعت خصيصاً لتشريح الموتى وهي مجهزة بجهاز غسل وشفط الافرازات التي تخرج من الجثة، وجدنا احد الأطباء وهو منهمك بعمله في جثة فتحت جميع اطرافها بما فيها فروة الرأس، كان المنظر بشعاً للغاية، غير ان الطبيب الذي انغرست اصابعه داخل الاحشاء وهو يقلبها لم يكن يأبه بشيء، فقط، اشار الينا بأن نخرج من المكان..

تحت الضوء..

مدينة الصدر.. مشهدٌ على حافة الكارثة

احمد السعداوي

بعد عقد الهدنة وبدء المفاوضات بين الحكومة والتيار الصدري. استشعر الجميع نهاية العاصفة التي عاثت لأكثر من اسبوعين بالحرث والزرع، في النجف الاشرف ومدينة الصدر ومناطق أخرى. وبرغم ان احداً لا يستطيع التأكيد على ان هدوء زوبعة القتل والدماء هو هدوء طويل الأمد. إلا ان الجميع كانوا بحاجة إليه. ولولا هذه الحاجة لما تحققت الهدنة.

كنا بحاجة . ويالغرابة! . لهدوء الزوبعة لرؤية حجم الخراب الذي خلفته ، وكأننا مجبولون على عدم التعلم من تجاربنا الماضية، ونبدأ دائماً من نقطة الصفر.

الذي يتجول هذه الايام في مدينة الصدر على سبيل المثال، سيرى مشهداً على حافة الكارثة البشرية. فأحياء هذه المدينة الفقيرة لا تشبه شيئاً اكثر من مقلع نفايات كبيرة. المدينة عموماً تبدو لمن لا يعرف تاريخها، مكاناً غير صالح للحياة البشرية. هذه الحقيقة ليست وليدة احداث اليوم. وانما هي واقع يومي معاش لأكثر من عقدين ولكن انقشاع غبار المعارك والمصادمات العنيفة. كشف عن اعلى تجلٍ للخراب والبؤس والوضع الصحي الخطير، الذي ليس من بعده سوى فناء سكان هذه المدينة.

اننا مدعوون الى اخذ العبرة مما حدث، ولنتعلم هذه المرة في الأقل!! حالة الاستنفار الأمني القصوى في المدينة وتحول احيائها السكنية إلى سواتر عسكرية، وتحول اناسها إلى رهائن لزخات الرصاص والقذائف الهوجاء! انقطاع الخدمات، وتعطل المصالح والاشغال والقتل المجاني والعبثي، وليس اخيراً.. الوضع النفسي السيء والخطر للاطفال، الذين يعانون في مجملهم من تشوه نفسي متفاوت المستويات.. بسبب اصوات الانفجارات العنيفة في الاقل.

كل ذلك لم يأت من فراغ، ولم يحصل بدفع من المعطى السياسي الحالي فحسب.

ان تاريخ الاقصاء والتهميش والإهمال الذي عاشته هذه المدينة على كل المستويات يقف خلفية قوية لأي حراك سياسي أو عسكري على ارضها.

وكدليل على اننا لا نعي هذه الحقيقة وأننا ننطلق من الصفر دائماً، ان اعلان الحكومة عن تخصيصات مالية كبيرة لمدينة الصدر في جوانب الخدمات البلدية والصحية، جاء في سياق التهدئة العسكرية والسياسية ولم يبدُ . ظاهرياً في الاقل . انه استحقاق طبيعي، وفعل اصيل ينبع من تفهم لمعاناة هذه المدينة (ما قبل المصادمات العسكرية).

ان الرسالة التي لا تقصدها الحكومة بالطبع، والتي قد تصل برغم ذلك، هي ان عليك ممارسة العنف للوصول إلى حقك، أو.. انك مدعو الى استخدام السلاح من اجل تسريع عمل الخدمات البلدية والصحية وتنظيف المدينة وتسليك مجاريها.

ان المواطن في هذه المدينة يرتد بسهولة - ان كان موالياً للتيار الصدري أو غير موالٍ - إلى خزين عدم الثقة ازاء الحكومة الذي تراكم في ذاكرته والذاكرة الجمعية لمجتمع المدينة. اذا استدعت الضرورة لذلك، ومن التذمر إلى حمل السلاح هناك طيف واسع من التدرجات اللونية التي تجذر عدم الاستمرار واستمرار حالة عدم الثقة.

في الاسبوع الماضي حدثت حالات لخرق الهدنة في المدينة، اطلقت قذائف هاون من قبل جيش المهدي نحو مكان مجهول، ومن غير المستبعد ان تكون قد سقطت على مدنيين (بطريق الخطأ) كذلك ما زالت الدبابات الامريكية تتجول في المدينة المزدحمة والمختنقة بازبالها ومجاريها الطافحة وسط انطباع عام لدى الناس المتعبين بان هذه الدبابات تهدد الهدنة.

ان رجل السياسة والفكر قد يقدم على استخدام السلاح، ولكنها ليست منطقته، ومن الشائع القول ان من يديم آلة العنف قد لا يكون بالضرورة هوالشخص نفسه الذي اطلقها للعمل.

تجربة الاسابيع الماضية في مدينة الصدر جعلت الناس فيها تتيقن، ان كثيراً من (نجوم) المصادمات العسكرية، لا يجيدون شيئاً آخر لذا فمن مصلحتهم ادامة هذه المصادمات. كما ان هذه المصادمات التي شغلت مساحة كبيرة في البلاد، نشطت تجارة السلاح والعتاد وسرعت من وتيرتها. وقد تسبب الهدنة بكارثة حقيقية بالنسبة لهؤلاء كما يفيد المقربون منهم والمطلعون على نشاطاتهم. وهؤلاء كذلك من مصلحتهم ان تستمر سحب الدخان واصوات القذائف وازيز الرصاص لأطول فترة ممكنة.

جل ما اخشاه - ومدينة الصدر مثال لا أكثر - ان تطمئن الحكومة لمعالجة ما يظهر من المشاكل ويطفو على السطح. ولا تكترث للجذور العميقة والغائرة بعدياً.

جل ما أخشاه ان لا تكترث الحكومة لتقوية مواطنها وتجعله يلجأ إلى اسوأ الحلول، ما دامت هي الحلول الوحيدة.

مدارس لا تفتح ابوابها للصحافة بمباركة مديريات التربية!

٥٠٪ كتب جديدة لهذا العام.. وتغيير تدريجي في المناهج

الخوف كصفة.. وكموصوف تحول إلى شبح سياسي واجتماعي فرض نفسه على القاموس العراقي. ولأننا نخاف.. هناك من يستغل خوفنا.. عندما نخاف من السلطة نمنحها التسلط. وخوفنا من ابداء الرأي يخنق قدرتنا على التعبير. العام الدراسي اقبل وبلدنا يعيش هذه الحالة غير الطبيعية من عدم الاستقرار و التدهور الامني فأي رب اسرة عراقي سألته عن شعوره تجاه ارسال ابنائه إلى المدارس في العام الدراسي المقبل أقرأ في عينيه القلق واضحاً جداً.

محمد طه محمد

في جولة بين ادارات المدارس للاستيضاح منهم عن استحضاراتهم للعام الدراسي الجديد اصطدمنا بواقع غريب، هو ان جميع المدارس التي زرناها رفضت اعطاءنا أية معلومة بل رفضت اعطاءنا اسماءهم والادهى من ذلك انهم توسلوا بنا ان لا تذكر حتى اسماء مدارسهم! عندما استعلمنا منهم عن سبب ذلك كان الجواب: هذه تعليمات الوزارة فلا يحق لأي شخص اعطاء أية كلمة للصحافة من دون إذن الوزارة، وأضاف بعضهم ان أية كلمة يعطونها للصحافة وان كانت جيدة فأنهم سيتحملون تبعات ذلك، وهم الآن غير مستعدين للتضحية برواتبهم العالية في سبيل الصحافة..

مما اضطرنا إلى مراجعة مديرية تربية الكرخ الأولى، وفي اروقة هذه المديرية لمسنا الشيء نفسه، فلم نستطع ان نحصل من الموظفين على أية معلومة، بل اكثر من ذلك كنا نرى الخوف في عيونهم عندما يعلمون بطبيعة مهمتنا الصحفية، مما اضطرنا الاتجاه مباشرة إلى مكتب المدير العام لتربية الكرخ الأولى الاستاذ غسان عبد الحميد الجلبي الذي رحب بنا بابتسامة هادئة كانت الأولى التي نراها في هذه الجولة.

❖ ما استحضاراتكم للعام الدراسي القادم؟

. من ناحية توزيع الكتب لدينا نظام للتوزيع نعمل عليه وهو (٥٠٪) قديم و (٥٠٪) جديد وبعض المدارس بدأ بالتوزيع وستبدأ مخازننا بالضخ إلى المدارس.

❖ ولكن حسب علمنا ان بعض المناهج سيتغير؟

. ان التغيير تدريجي فالمواد التي ستتغير هي مادة الاسلامية وقواعد اللغة والمطالعة والنصوص، اما الكتب العلمية فلن تتغير الآن، وكمعلومات تفصيلية افضل ان تأخذها من مديرية المناهج العامة قرب دار الحرية، اما من ناحية كميات الكتب الموجودة فان شاء الله سنغطي كل العدد المطلوب.

القرطاسية هذا العام

❖ وماذا عن الملاك التعليمي هل توجد شواغر حاليا؟

. بالنسبة للملاك استطعنا تغطيته داخل بغداد، ولكن يوجد بعض الشواغر في الاطراف لا يمكن سدها الآن لعدم وجود موافقة على التعيين الجديد، ولكن الذي اعيد الى الخدمة هم فقط السياسيون المضطهدون وعناصر حزب البعث الذين استبعدوا في البداية، وتمت اعادتهم إلى وظائفهم وهؤلاء نحاول ان نغطي بهم الاطراف.

وان شاء الله لا يوجد شاغر مع بداية العام الدراسي القادم

❖ وعن الطريقة التي نعرف بها وجود الشواغر؟

. نطلع على جدول المدرسة إذ ان حصة المعلم (٢٦) حصة ومدرسة المتوسطة (٢٤) حصة ومدرسة الاعدادية (٢٢) حصة وضمن الجدول نعرف بالضبط اين يوجد الشاغر، وسنملأ جميع الشواغر والتي لا نستطيع سدها بالتعيين سنسدها بالمحاضرين. وبصراحة نحن نفضل تعيين من كان محاضراً لدينا لأنه خدمنا عندما كنا بحاجة إليه فيجب ان نخدمه عندما يحتاج الينا.

❖ ذكرت من تركوا الوظيفة لاسباب سياسية ماذا بشأن من تركوا الوظيفة لاسباب انسانية، قلة الرواتب مثلاً؟

. في هذه اللحظة طلب مني السيد المدير العام ان اغلق جهاز التسجيل ثم اجابني قائلاً: توجد في نيتنا ارجاع جميع من يرغب في اعادة التعيين بضمنهم هؤلاء الذي تحدثت عنهم ولكن ليست دفعة واحدة وانما بالتدريج ومع مرور الزمن.

❖ لاحظنا ان ادارات المدارس بصورة عامة لا يتعاونون نهائياً مع الصحافة ويرفضون اعطاءنا حتى اسماءهم فما السبب؟

. لهم الحق! فنحن نمر بظروف غير طبيعية وتصدر احياناً عن شخص ما كلمة لا يحسب حسابها وتؤول على نحو آخر. ولذلك وجهناهم بعدم التصريح لأية جهة بكلمة، ونحن نريد ان نبعد الرأي السياسي عن المدارس فكل موظف موقعه الوظيفي يمثل العراق وحكومته ولا يمثل أية جهة سياسية حتى لو كان منتمياً إليها. وجاء هذا التوجيه خوفاً عليهم لكي لا (يتورط!) احدهم بكلمة. فانت لا تستطيع الاعتماد على كل شخص خريج كلية فاحياناً تجد شخصاً لا يملك شهادة ولكنه يستطيع اقناعك اكثر من اصحاب الشهادات! ولا تنسى اننا نتعامل مع طلبة في مدارسنا لا يزالون في طور النضوج، وانت اكيد ترى في الشارع الكثير الذين لا يتقبلون أي رأي غير رأيهم ولا يؤمنون بالحوار وهذا ما نعانيه.

❖ في العام السابق قامت بعض المنظمات الانسانية بمساعدة المدارس ووزعت بعض الهدايا على الطلبة. ماذا بشأن العام الدراسي القادم؟

. جميع المنظمات التي راجعتنا احلناها الى الوزارة للحفاظ على المركزية في العمل.

❖ تأجيل العام الدراسي القادم وتأجيل الامتحانات. هل تستطيع ان تعطينا فكرة عن الاسباب؟

. وهنا طلب السيد المدير العام ان اغلق المسجل مرة أخرى ونفذت طلبه وبعدها اجاب قائلاً: اتصور ان الجميع فهم الاسباب فما كان يحدث في النجف ومدينة الثورة لا يخفى على احد ومن المستحيل على الطلبة في مناطق كثيرة ان يتوجهوا إلى مدارسهم في مثل تلك الظروف ولهذا السبب كان التأجيل لكي ننتظر عسى ان تتحسن الامور كذلك لترتيب تأمين وجود الطلبة في مدارسهم.

❖ ولكن بعض المناطق لا تزال تعاني أحداث الحرب.

. توجد لدينا حالياً آلية عمل بحيث نسهل لجميع الطلبة اداء الامتحانات للدور الثاني واقولها لك بصراحة ليطمئن الجميع فنحن نحافظ على طلبتنا كما نحافظ على ابنائنا وعوائلنا.